

الأنوثة المرفوضة ورحلة البحث عن الهوية في رواية لم انجبتي أنثى؟ لليندة كامل.

The rejected femininity and the identity search journey in the novel "Why Did you have me a Female?" For Lynda Kamel.

نصيرة زلازلي*

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية
(جامعة البليدة 2 / الجزائر)

en.zelazli@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/03/21

تاريخ الاستلام: 2024/09/20

ملخص:

تحاول الكتابة النسوية تقويض فكرة الفحولة فتسعى إلى إظهار أدوار المرأة ومكانتها في المجتمع ككيان وجسد، لكن الثقافة على مدى عصور بفضل حيلها استطاعت تمرير أنساقها التي تهدف إلى إخضاع المرأة إلى سلطة الرجل. تتجه الرواية النسوية إلى تشكيل أنساقها الخاصة فترفض معطيات الواقع الأنثوي في ظل مجتمع بطريكي، كنوع من التحدي وإثبات الهوية، لكنها تجد نفسها في صراع لا ينتهي يتأرجح بين الهوية الذكورية التي تمثل القوة وبين حقيقتها كأنتى. تمثل رواية لم انجبتي أنثى؟ لصاحبتها ليندة كامل أحد نماذج رفض الذات لأنوثتها، في صور صادمة تعكس واقع شخصيات تعاني من واقع مفروض من طرف السلطة الذكورية بأنواعها.

الكلمات المفتاحية: الأنوثة المرفوضة، الهوية، الرواية النسوية، لم أنجبتي أنثى؟ ليندة كامل.

Abstract:

Feminist writing attempts to undermine the notion of fascination and seeks to demonstrate women's roles and status in society as entities and bodies, but culture over a period of ages has been able to pass its legs aimed at subordinating women to men's power.

The feminist narrative tends to shape its own patterns, rejecting female reality in a patriarchal society, as a kind of challenge and identity, but finding itself in a never-ending struggle that swings between a male identity that represents power and its female reality.

"Why Did you Have me a Female?" Her owner , Lynda Kamel, is one of the models of self-rejection of femininity, in shocking images that reflect the reality of characters suffering from a reality imposed by male authority of all kinds.

Keywords rejected femininity; identity; feminist novel; Why Did you give me a Female?"; Lynda kamel.

* نصيرة زلازلي، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية. جامعة البليدة 2. en.zelazli@univ-blida2.dz

. مقدمة:

يشكل موضوع الهوية الأنثوية مساحة من الرواية النسوية ومكوّنًا أساسيًا من مكوناتها، فالهوية انبعثت للذات والكيونة، وهي في ارتباطها بالمرأة خلقت أزمة داخل الثقافة والمجتمع، ذلك أن الثقافة اعتبرت المرأة ردحا من الزمن تابعًا يستمد شرعيته من الرجل، ليختزلها أحيانًا في جسد، أو آلة للقيام بالأعمال المنزلية، لهذا بدأت المرأة في البحث عن هويتها المسلوقة بطرق مختلفة، لإثبات ذاتها ووجودها وإبراز مكانتها.

تنتقل رواية ليندة كامل الموسومة ب لم أنجبني أنثى؟¹ من موضوع شائك ومثير ومعقد، يكشف عن حدوث خلل في تشكيل الهوية الأنثوية بالنسبة للبطلات "هتون" التي تجد نفسها منبوذة من محيطها العائلي لا شيء فقط لأنها ولدت أنثى، هذه الفكرة التي تتخمر في ذهن الطفلة وهي تقابل بالرفض من قبل عماتها ووالدها، فتحاول إثبات ذاتها عن طريق الرفض لهذه الهوية المنبوذة المرتبطة بالذل والمهانة مقابل استبدالها بهوية ذكورية حامية لها للحصول على التقدير الذي يتمتع به الذكور في بلدتهم وعائلاتهم،

من هذا المنطلق تحاول الكاتبة ليندة كامل تسليط الضوء على الهوية الأنثوية في جانبها المسكوت عنه، الذي يكشف عن الأنوثة المرفوضة، بعيد عن النماذج المكررة والمعتادة تسرد لنا البطلة هتون قصة تشتتها وصراعها بين هويتين مختلفتين أحدها حقيقية (الهوية الأنثوية) وأخرى مزيفة (الهوية الذكورية) تريد الاحتماء بها لمواجهة التهميش، فهل نجحت هذه الأنثى في التخلص من هويتها أم أنها تاهت بين هذه وتلك؟

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن تموقع الذات الأنثوية داخل رواية لم أنجبني أنثى؟ وإبراز تشكيل معالم هويتها من منظور نسوي يحاول تهشيم النسق الفحولي، وكشف سلطته التعسفية ضد المرأة.

ذلك للإجابة عن التساؤل المعرفي: كيف تجلت مظاهر الأنوثة المرفوضة في رواية لم أنجبني أنثى؟، وماهي أهم الأنساق الثقافية المبني عليها هذا الخطاب الروائي؟

تتجلى قيمة البحث في الكشف عن أدب متفرد كُتب بأقلام نسوية جزائرية، تحاول إبراز صوتها المهمش لاعتبارات ثقافية متعددة، وذلك لتعرية المضمر الثقافي الذي تضطلع به النصوص النسوية الجزائرية، من خلال دراسة ثقافية لرواية ليندة كامل الموسومة ب لم أنجبني أنثى؟

2. تجليات الأنوثة المرفوضة في رواية لم أنجبني أنثى؟:

أنجبت المجتمعات الذكورية على مرّ العصور مفهوم الأبوة؛ الذي يقوم على تقديس الذكر مقابل -بالضرورة- التقليل من شأن الأنثى، هذه الممارسة ساهمت في تمظهراتها إلى أزمنة تحملت الأنثى عواقبها. في الرواية موضوع البحث تحاول الساردة والشخصية المحورية الانطلاق من تجربتها الذاتية لإظهار عواقب السلطة الذكورية عند إقصاء الأنثى منذ نعومة أظافرها التي تجلّت في بروز ما سماه بعض النقاد "الأنوثة المرفوضة"، وما أطلق عليه النفسانيون عقدة ليليث*

ومفادها أن "قُسمت صورة الأنثى ومنذ عشرات الآلاف من السنين إلى حواء وليليث فكانت حواء ترمز إلى المرأة المضحية وإلى الأمومة وخضوع المرأة والسلبية الجنسية وللزواج الأحادي، وللمطبخ وللعبادة وتربية الأولاد وخدمتهم وهو في الواقع جانب واحد فقط من الأنوثة، أما الجانب الآخر تمثله ليليث التي ترمز إلى المساواة والفاعلية الجنسية ورفض الإنجاب والأمومة والتمرد عما تقوم به حواء من أعمال جعلتها واجبات"²

وقد تجلّت الأنوثة المرفوضة في رواية لم أنجبني أنثى؟ بداية من العنوان؛ الذي يُعد العتبة الأولى التي من شأنها أن توجه القارئ إلى الدلالات الممكنة.

1.2 . العنوان والاستهلال السردى:

فالعنوان الصادم الذي جاء بصيغة الاستفهام لا يكفي بالإشارة إلى التحسر الذي تبطنه صياغة العنوان فحسب، بل إلى مسائل غير مأسسة بمنطق يتقبله العقل، فكيف يمكن سؤال الأم لم أنجبني أنثى أو حتى لم أنجبني ذكر، لأنها لا تملك القرار في اختيار جنس وليدها، لكن الفرق كبير بين إنجاب الذكر وإنجاب الأنثى حسب الرواية، والواقع الاجتماعي ككل، ولهذا فالكاتبة من خلال هذه العتبة لا تريد جواباً على سؤال لا يملك إجابة أساساً، بل تريد الإحالة إلى الإحساس الذي يصاحب هذه الأنثى حين تولد كذلك وتعيش في مجتمع يرفضها ويهمشها ويجعلها إلى لا شيء في النهاية، فالعنوان يستدعي الفروق الجوهرية بين الأنثى والذكر، وهو ما أقره القرآن الكريم حين نستدعي الصور التي يستحضرها العنوان بقوله تعالى في سورة آل عمران " فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " (آل عمران الآية 36)، فالآية الكريمة بدورها تؤكد الفرق بين الذكر والأنثى في قوله تعالى وليس الذكر كالأُنثى ذلك لأن " الله اختار من العالمين آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران أي موسى وهارون وخصهم بالمزايا الروحانية والجثمانية، إذ قالت امرأة عمران بن ماثان جد عيسى إني نذرت ما في بطني من الولد لخدمة الله. فلما وضعتها وجدتها أنثى، فقالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأُنثى من حيث صحة النذر (فأنهم ما كانوا يندرون الاناث)، وإني سميتها مريم وإني أجبرها هي وذريتها بك من وسوسة الشيطان الرجيم. فرضى الله بمريم في النذر على أنها أنثى ورباها تربية كاملة"³ ويبدو أن القرآن الكريم فرق بين الذكر والأنثى لكنه لم يفضل أحدهما على الآخر في هذا القول من سورة آل عمران، بل وتقبل مريم قبولاً حسناً. بينما حاولت الكاتبة في صياغة عنوانها ويربطه بمحتوى النص إظهار الفوارق بين الجنسين التي تسببت فيها السلطة الأبوية بأنواعها من " نظرة الرجل الشرقي الأبوية المتخلفة التي لا تجد في المرأة سوى حُرمة، وعبدية مخدّرة وعورة في جسدها وصوتها"⁴ ولعل الاستهلال السردى بدوره يضيف إلى ما يصبو إليه العنوان حين تقول الساردة: "عندما وضعتني أُمِّي أنثى، انقبضت روحها، وتحطم خاطرها مثل زجاجة عطر"⁵، ولم يقتصر فعل انجاب الأنثى على تحطم كيان الأم فحسب بل كل العائلة اشتركت في ذلك، فقد

رأت العمات أن البنات قنابل موقوته، وأقر العم أن البنات يجلبون العار لأسرهم.. ليتسرب الرفض من العائلة إلى الأسرة إلى الذات نفسها حين لا تجد في هذه الهوية الأنثوية ما يميزها في ظلال مجتمع بطريكي إلا العار والسلبية التي بسببها "تعيش فيها النساء كالفتران لا يخرجن إلا في الظلام، ففي بلدة لا ترى فيها المرأة تخرج من بيتها إلا ثلاث إلى القبر، وإلى العرس، وإلى الطبيب برفقة محرم وهي مدثرة بلحاف أسود يدعى ملأة"⁶.

2.2 التنشأة الاجتماعية وعقدة الأنوثة:

تساهم الظروف الاجتماعية و الأسرية في تكوين شخصية هتون بطة السرد خاصة حين يغيب الأب ويسافر إلى فرنسا، فلا تجد الأسرة من يعيلها ويهتم بشؤونها، فغياب الأب ما يشير إلى التجرد من المسؤولية وتنازله عن مهامه كرجل إلى المرأة في تربية الأبناء وحدها، نتج عنه خلل في التكوين الأسري السوي ما أنتج شخصية محرفة الفطرة هي هتون البنت في مرحلة المراهقة حين تبدأ في استلام مهام الرجال، "قررت أُمِّي أن تحولني إلى ولد رغما عن الطبيعة (...). رجعت والدي من فرنسا واستقر بيننا ولم أكن أتوقع قبوله التلقائي بما فعلته أُمِّي بي، فأصبح هو الآخر يعاملني على كوني ذكرا"⁷ وربما هذا الرفض الذي يتجلى في هذا الخطاب ليس جديدا على الساحة الأدبية، بل ليس جديدا على التاريخ بشكل عام، فلطالما كانت النظرة إلى المرأة نظرة دونية، هذا ما كرسته الثقافة على مر العصور، فقد كتب جوزيف فلافيوس Flavius Josephus، "أن المرأة أدنى من الرجل في كل شيء، وعليها أن تخضع ليس لتكون مغتصبة، إنما لتكون محكومة، لأن الله وهب القوة والقدرة للرجل"⁸ فهي مخلوق ناقص محكوم عليه بالخضوع إلى سلطة الذكر صاحب القوة "فالتحيز الشديد ضد المرأة خاصة بارزة في فكر الحضارات القديمة"⁹، وقد وجدت مقولة فلافيوس القديمة كثيرا من المؤيدين وصلا إلى هذا العصر، فقد رأى نعمان بن الشاء أن المرأة ليس عليها إلا أن تكون ربة بيت لا تتعلم بحيث تعليمها يؤدي إلى مشاكل عويصة، يقول "فأما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله، إذ لا أرى شيئا أضر منه بهن، فإنهن لما كن مجبولات على الغدر، كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد (...). فالبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأمنع"¹⁰، ورغم هذا القول الذي لا يستند إلى ركائز قوية لا دينية ولا ثقافية فقد حاولت السلطة الذكورية على مر العصور تجسيد دونية المرأة ومنعها من كل وسائل الارتقاء مثل التعليم، والصاقها بالسلبية والضعف، وبالعودة إلى الرواية فقد عقدت العائلة اجتماعا طارئا لدراسة أمر نجاح صورية إن كانت ستلتحق بالجامعة أم لا تقول: "أنعقد وتم الاتفاق على عدم التحاق صورية بالجامعة، التي تعد في عرف قريتنا مرتعا للمعاصي حسب فهمهم، وأن دخولها يعد جريمة، ولن يغفر لها الناس هذه الخطيئة التي ستدس رأس والدي بل العائلة ككل في التراب"¹¹، هذه الضغوطات التي مورست على المرأة في العرف العائلي المكبل بحرية المرأة جعل هتون تتمسكن بالهوية الجديدة التي وجدت فيها حريتها المسلوقة، حيث أصبح والدها يعاملها بشكل أفضل من كونها بنتا بل ويفضلها

على أخواتها الأربع، تقول " فيشعر أيّ أني ولد وأسأله فتزداد سعادتي بتلك النظرات التي تغرس فيّ ثقة الأب بابه" ¹²، هذه الهوية المزدوجة التي صنعها الوالدان للبننت "هتون" بتحويلها إلى ولد تدريجياً، جعلها بدورها -حين رأت تغير معاملتهم لها للأفضل وهي تندمج في دورها كرجل- تحب هذه الهوية الجديدة، لأنها أعطتها القيمة التي بحثت عنها كأنثى ولم تجدها، ما جعلها أكثر ميلاً لأصدقائها الأولاد في محاولة لا واعية للتعرف على هذه الهوية (الذكورية) وتقمصها، مقابل رفض الهوية الأنثوية ووضعها جانباً، "أنزل إلى الشارع بسرّوالب الجينز وألعب الكرة معهم وأصرخ بأعلى صوتي وأتسلق الأشجار وأضرب الحجر..." ¹³، من خلال هذا المقطع نلاحظ استحضاراً للجسد من خلال موتيف اللباس، وهو لباس مختلف عن لباس المرأة المعتاد -على الأقل في الثقافة العربية الإسلامية-، ومن هذا يشير إليه عبد الله إبراهيم بالنكر لرغبات الجسد الأنثوي، فمحاولة الشخصية الظهور بلباس الرجال (سرّوالب الجينز) هو طمس لمعالم الهوية الأنثوية، ومحاولة الخروج عن الفطرة السوية "فاللباس هو الناطق الرسمي للجسد، كما أنه هو المتحدث باسم بعض مناطق الجسم دون الأخرى (...)" فعبّر منصة اللباس نجعل من أجسادنا نتحدث عن نفسها و تخبر عما لا نستطيع أن نقوله نحن" ¹⁴، فالشخصية تريد من خلال هذا اللباس الرجالي (في أصله) إظهار وتأكيد استرجالها حين تضفي عليه مزيداً من المصداقية بإلحاقه بتصرفات الرجال في التحدي والخروج عن المعتاد، "رغم بروز الأثداء التي أسترها دائماً بارتدائي ألبسة واسعة (...)" لترسم جسداً أنثوياً جذاباً بخصر ضيق، وشعري الفاحم المنسدل على كتفي، وعيني السوداوين وأنفي الحاد وشفثاتي الضيقتين ووجنتي المكتنزتين جعل مني أنثى مكتملة الملامح" ¹⁵، وهذا ما ولد عند الشخصية ازدواجية في الجسد في ثنائية خفاء وتجلي بمنطق معاكس لكيوننتها، "تعمدت ارتداء لباس رياضي واسع ذلك اليوم لأخفي تفاصيل جسدي، ورفعت شعري دفعة واحدة إلى الأعلى كالسنام وأخفيت تحت قبعة رياضية" ¹⁶، فمحاكاة لباس الرجل وإضمار الجسد الأنثوي يلحقه التحدي وإظهار كل علامات الاسترجال لاحقاً.

وهي بهذا تريد كسر أسطورة الرجل الخرافي على حد قولها، خاصة عند التحاقها بالجامعة التي لم يستطع ابن عمها الوصول إليها "لم أكلف نفسي عناء الحديث إليه رفعت أصبعي الوسطى في وجهه أمام الناس في صرخة تحدي للجميع، لأسطورة الرجل الخرافي الذي له كل شيء، أخذت منه جزءاً مما يمتلك" ¹⁷

لكن تقمص الشخصية للدور الاجتماعي للرجال وصل بها إلى منعرج حاسم وحالة من الشتات الذريع حين انتقلت إلى مرحلة البلوغ فهي تحاول باستمرار طمس معالم هويتها الأنثوية فكيف حين تجدد نفسها تحيض كل شهر، هذا المعطى الذي يذكرها كل مرة بهويتها الحقيقية التي تريد ردمها: "...لقد بلغت بنيتي وهذه الحالة تحدث لجميع النساء (...)" ففشلت رجلاي لحظتها وأحسست بالضيق وانتابني نوبة من الحزن" ¹⁸، إن الضيق والحزن اللذان أحست بهما هتون ما هما إلا ترجمة على الصفة التي تلقتها حين ظهرت ملامح هويتها الأنثوية من جديد، الهوية التي تحاول أن تضمّر كل ما

يذكرها بها، فتخفيها بتصرفات الرجال من الأعمال الشاقة وجلب المصاريف للعائلة، والشجارات مع الأولاد وغيرهم؛ أفعال توهمت بأنها سبيلها للقوة.

وازداد رفض هتون لهويتها مع تنامي صفاتها الجسدية الأنثوية "هذه التغيرات التي تحدث في جسم الأنثى هزت نفسي، كنت أشعر بالرفض لكل تلك التغيرات التي حدثت وتحدث في جسمي، وأحسد الرجال لعدم وجود مثل تلك الأعراض لديهم، ألم بروز الثديين كان يزعجني"¹⁹

تصرف شخصية هتون الأنثى في تكوينها المرفلوجي، الذكر في التمثيل الأدائي جعلها في صراع داخلي بين جانبها الأنثوي الذي تحاول وأده حيا وجانبها الذكوري الذي فرضته عليها ضغوط السلطة البطريكية، ففي محاولتها الحفاظ على هويتها الذكورة تتورط في علاقة مشبوهة وشاذة مع بنت أجنبية سكنت حيهم، فالكاتبة ليندة كامل تحاول في بدايات سردها على لسان شخصيتها هتون المرور على تفاصيل حياتية؛ منذ الولادة حتى الطفولة القاسية مع ابراز السلطة الأبوية واکراهات الجندر التي مورست ضد الأنوثة وتواصل لتعرض نتائجها لا سيما السلبية على هذه الكيان الأنثوي، فتكسر الطابوهات لتطرق أبواب المحرمات في عرض علاقة حميمة تجمع بين هتون وصافي تعيد فيها هتون مراجعة هويتها والتماس تشظيها "لكن شيئا غريبا بدأ ينمو بيننا، لم أفهمه لأني لم أعرفه من قبل، شيء من اللطف والانسجام، شيء من الود والشوق واللهفة(...) وفجأة اقتربت مني(...) كنت على وشك إخبارها بحقيقي أنني أنثى ولست ذكرا، واقتربت أكثر(...) كان أمني الوحيد في أن تتركني عندما تكتشف أنني أنثى، لكنها استمرت في فعلها الذي كشف لي عن مكان جسدي الأنثى، الأنثى التي قتلتها في جسدي من زمن بعيد(...) كيف لم يشفع لي لباس الرجولي ولا القبعة الرياضية في إخفاء حقيقة الأنثى التي تكونت أكثر في جسدي"²⁰

وهنا تشير الكاتبة إلى ظهور واكتشاف ملامح الأنوثة بالنسبة للشخصية وطوفانها على السطح من خلال تيمة الجسد، "تفجيرا للمكبوت والمخفي، فالمرأة من خلال مختلف أشكال كتابتها الجسدية والرمزية تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن لتعلنه في حوارها-صراعها"²¹ لكن الجسد من خلال فعل المشاركة وهو ما ذهب إليه ميرلوبونتي حين أقر بأن الجسد لا تتم إمكانية ملاحظته إلا بتوفير جسد ثانٍ مماثل يقول "ألاحظ الأشياء الخارجية بجسدي، أفتشها، أحيط بها، لكن بالنسبة لجسدي لا ألاحظه في ذاته، أحتاج إلى جسد ثانٍ والذي لا يكون ذاته ملاحظا"²²

ولهذا استطاعت الشخصية التعرف على جسد الأنثى من خلال ما ذهب إليه ميرلوبونتي، لكن يبدو أن ازدواجية الجسد لم تحقق طموحات الشخصية بل انعكست سلبا على نفسياتها وحياتها المنشطرة "دخلت البيت بأحاسيس متداخلة مرتبكة كمن يخبي جرما بين عينيه(...) كنت كمن يدخل نفق ولم يعرف كيف ينفصل عنه، وأجزاء منه انغرست فيه"²³

فيبدو أن رفض الأنوثة الذي تمارسه الشخصية ضد نفسها هو رفض ظرفيّ بدليل اعترافها الداخلي بكونها أنثى في المشهد السابق الذكر، فكانت لحظتها تستنجد بأنوثتها التي غيبتها منذ زمن، هذا الرفض الظرفي الذي فرضته ظروفها القاسية في معاملة الناس لها هو ما جعلها تتخلى عن هذه الهوية الذكورية بمجرد اختفاء تلك الظروف، أي حين انتقلت إلى الجامعة. ولو نظرنا بعين النقد النفسي من هذه الزاوية استنادا لدراسة لجورج طرابيشي على مدونتين شبيهتين بهذا المتن الروائي هما رواية "امرأتان في امرأة" و رواية "مذكرات طيبة" لنوال السعداوي التي خلص فيها طرابيشي في كتابه "أنثى ضد الانوثة" 1984 بأن البطلة حين تحلم بأن تكون صبيا وهو رفض للأنوثة بيولوجيا هو شعورها بالخزي والخصاء أو وهم الخصاء*، وهو دليل على مقارنة الدونية بالأنثى دائما والقوة بالرجل، ويعود طرابيشي ويجمع بين المنهج النفسي والاجتماعي حين يصرح بأن رفض الأنثى لأنوثتها واحساسها بالدونية نتاج أيديولوجي راسخ في اللاشعور الجمعي للمجتمع الذكوري²⁴

وهو ما حدث مع الشخصية المحورية في رواية لم انجبتني أنثى؟

3.2 . النضج الهوياتي والتصالح مع الذات الأنثوية:

تنتقل الساردة في مرحلة الشباب -المثثلة بدخول الشخصية الجامعة -إلى ربوع التصالح مع الهوية الأنثوية بغياب أسباب رفضها؛ وهو السلطة البطيركية أو بسبب العجز الذي أحست به في هذه الهوية وضعفها "كانت المرة الأولى التي أكون فيها أنثى حقيقية، ولم أشعر يومها برفض كوني أنثى، هل العجز يجعلنا نعود إلى الأصل"²⁵، ونستعمل مصطلح "النضج الهوياتي" الذي نقصد به وصول الشخصية إلى مرحلة نضج هويتها مع توفر الأسباب لذلك؛ أهمها غياب الرادع السلطوي كما سبق وذكرها يضاف له مساحة الحرية التي وجدتها الذات في سن ثلاثم قدرتها على اختيار هويتها دون ضغوط مفروضة، فنجدها تأخذ استراحة من تشظيها الممثل بازواجية الهوية لتختار الهوية الحقيقية لها، وتنتقل من الحديث عن الذات إلى الحديث عن مواضيع شائكة أخرى كالإجهاض والعلاقات غير الشرعية داخل الجامعة والانحرافات بأنواعها من خلال قصص صديقاتها.

فسلمى التي أحبت ياسر الذي كان يستغل جسدها بعلاقة غير شرعية كان نتاجها الحمل الذي أودى بحياة هذه المرأة، ما هو إلا تمثيل لصورة الآخر/الرجل في نظره للمرأة كجسد "حبها لياسر كان حبا صادقا نقيًا، استغلها كي يمارس شهوته(...) أما ياسر فكان يبحث عن الجنس وليس عن الحب"²⁶ فهو سبب مأساتها تقول "وراء كل تحطيم للمرأة رجل، وراء هتك العرض رجل، ووراء منعها من الدراسة رجل، ووراء اغتيار أعصابها رجل وراء مرضها وسخطها، وضياعها، وجنونها رجل، لكن وراء كل رجل عظيم امرأة"²⁷

تكتشف الشخصية الرئيسية من خلال هويتها الأنثوية زيف الفحولة بعيون المرأة حين تتفتح على عالم الرجال، فالرجل مستغل ومغتصب يأخذ من المرأة دون أن يعطيها (حسب رأيها)، "الرجال يحبون الزواج من المحترمة ثم يخونها مع العاهرة، عاشرت أصناف الرجال، وأفهم جيدا ماذا تعني لهم المرأة، ليست أكثر من حاجة كحاجته لسيجارة يلتهمها دفعة واحدة حتى تنطفئ فيبحث عن غيرها ليجدد معها شبابه، الرجال خائنون، وجلهم يشكون إهمال النساء لهم"²⁸، فصورة الرجل في الرواية النسوية لا تكاد تخرج عن النموذج "الممثل لكل آفات الثقافة الذكورية المستبدة التي لا ترى في المرأة إلا محض متاع وأداة للمتعة وإرضاء شهوات الرجل لا أكثر؛ فلا مجال لديه لاحترام عقلها وإنسانيتها ناهيك عن اعتباره بوجودهما أصلا"²⁹ فحدة التهميش الذي مورست ضد النساء من خلال حكايات صديقاتها في العمل - حتى حين بدأت المرأة تأخذ مساحة من الحرية بالعمل والخروج والتعليم - شكلت في وعي هذه المرأة صورة لا يمكنها ترميمها عن الرجل، فيبدو أن تهميشها كان متجذرا في المجتمع، فالقصص التي عرضتها على هامش القصة الرئيسية في هذا السرد لا تختلف عن قصة امرأة عانت ولا زالت تعاني ليس لسبب معين إلا لكونها أنثى، "منذ أن ولدت بنتا إلى أن أصبحت امرأة تقبلت حالها بعدما رفضت الواقع، وعندما قبلت بنفسها رفضها الواقع"³⁰ وهنا تحاول الكاتبة ليندة كامل كشف الزيف الذي تعيشه المجتمعات لا سيما العربية، وتسقط القناع الفحولي الذي فرض على المرأة قيودها باسم العرف والدين، فشخصية هتون ولدت مرفوضة منذ نعومة أظافرها فرفضت هذا الواقع المتزلف هو وواقعها كأنثى، لكنها حين قبلت نفسها رفضها الواقع.

إن ممارسة الشخصية للتصالح الهوياتي جعلها تكتشف الهوية الذكورية أو الذكورة بمعناها السلبي في قمة جبروتها وزيفها.

تتجلى عودة الذات إلى هويتها والتصالح معها حين تُمثل الهوية الأنثوية عن طريق القبول بالزواج من رجل تكتشف لاحقا أنه قبل الزواج بها من أجل المال الذي تكسبه من عملها، ولهذا تقام لها وليمة على شرفها وتصلحها أختها صورية لأنها أخيرا ستصبح امرأة "أعقد العزم لأثبت لهم أنني امرأة وقادرة على لعب دور المرأة كاملا حيث قتلت المرأة المسترجلة التي عاشت في، أهرب إليها لأكون قوية وأخبا ضعفي في تلك المرأة"³¹

من خلال هذا الصور الجامعة بين الأنا والآخر تكشف لنا الكاتبة عن الذكورة المزيفة مقابل الأنوثة الضحية، "خذي احتياطاتك كاملة هتون.. أنت لم تتزوجي بأخيك أو أهلك الرجل يبقى عدو

عدو...؟ ما هذا يا ربي؟

ضعت أمام آرائهم كانت المرة الأولى التي أضيع فيها بين كل الآراء في النهاية اجتمعوا على أن الرجل عدو وتجاوز الحرب معه وفي الحرب كل الوسائل مشروعة³² ومن هنا تعلن الشخصية الحرب على الآخر الرجل بوصفه عدو فتريد الاستقلال والهروب من دائرة الجهل إلى دوائر المعرفة والتعلم والكتابة الإبداعية، فلطالما جابحت المرأة سلطة الرجل بقلمها ولغتها، فالمرأة الكاتبة في المشهد الإبداعي الروائي خاصة تحاول استرجاع المكانة التي حظيت بها في سالف الأزمان من خلال الكتابة الفنية، مقابل كشف الفحولة الزائفة التي ادعت التفوق "لذا كان نص المرأة ذاكرا تنبعث من تحت آثار الشمس، وركام التاريخ، والإلغاء الحضاري، ولا يتأتى لها ذلك إلا بترويض أحصنة اللغة، وحين تفرض المرأة ذاتها، تكون بذلك قد فرضت وجهها المخبوء تحت الكلمات، ووراء المجازات"³³ تقول على لسان شخصيتها المحورية: "وجدت راحة مع نفسي، حاولت أن أعيد بناءها حجرا حجرا، انغمست في قراءة كتب عن النفس وتهذيبها عن الخلق والكون والفضاء(...) ففي القراءة تهدب نفسي وأصبح العقل وحده من يفرض نفسه في الاستزادة"³⁴

فقد وجدت الشخصية الارتقاء بنفسها من خلال العلم والمعرفة والعمل فهي سبيل نجاحها وتهذيب نفسها.

وعليه فقد حضر نسق الفحولة في هذا المتن الروائي لكن بصورة معكوسة وهو محاولة تهشيمه بإعطاء صورة مخالفة لما رسخته الثقافة في وعينا ردحا من الزمن، ولزيد من المصادقية على ما ذهبت إليه الكاتبة فإنها لا تكتف بتصوير الفحولة المزيفة من منظور الشخصية المحورية التي قد يرى القارئ بأنها ليست بالمرأة النموذج بدورها، فقد دخلت في انحرافات ضد التقاليد والدين أحيانا، لكن شخصية صورية تظهر المرأة التي صنعتها الثقافة الأبوية فهي المتدينة السويّة، فقد حققت صورية وهي عروس احتراماً فائقاً عبر عنه الناس في نظراتهم لها، هذه المفارقة التي تكشف عنها الصفحات الأخيرة من الرواية حين تظهر صورة شخصية صورية تتحدث مع رجل آخر غير زوجها عبر وسائل التواصل الاجتماعي ما هي إلا تبطين لنقد السلطة الذكورية وما تفرضه من تكبيل المرأة بقيود العرف والتقاليد والباسها سترة العيب إلا أن الواقع يثبت عدم جدواها، فصورية رغم صدقها وجمالها وعيشها في قوالب العرف والدين إلا أنها عاشت تهميشاً من قبل زوجها جعلها تدخل ربوع اليأس فتتعلق برجل افتراضي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، "لقد غلفت أحاسيسها في قوانين الناس والمجتمع حتى ذبلت أوراقها واصفرت"³⁵ وهي في النهاية ترجمة لرؤيا صاحبة النص تحاول من خلالها نقد هذه السلطة التي لا تستند إلى التعاليم السوية لا دينيا ولا إنسانيا وتحاول تسليط الضوء على فكرة مفادها أن الرجل الذي تبحث عنه المرأة ما هو إلا رجل افتراضي لا يوجد في الواقع، وهو ما حدث مع جل الشخصيات النسائية في هذا العمل.

وبالعودة إلى الاستهلال السردى مقارنة بنهاية السرد فإنهما من الأهمية بما كان، حيث ترتبط بداية هذه الرواية بعلاقة قوية مع نهايتها، فقد صورت حياة شخصية تتحول من الهوية الأنثوية إلى الهوية الذكورية من الطفولة إلى المراهقة ثم تعود إلى هويتها الأنثوية في شبابها داخل الجامعة، تعاودها هواجس الهوية الذكورية بتوفر الظروف التي أنشأت هذه الطفرة في

شخصيتها (الخروج من الجامعة والرجوع إلى بنت أبيها)، لكنها لا تجد في هذه الهوية المزيفة إلا كل ما هو سلبى على جميع المقاييس، لتنتهي بالتصالح مع هويتها الحقيقية الأنثوية من خلال إظهار قيمتها الإنسانية بالتمايز والاختلاف لا المشابهة والمحاكاة، وفي هذا السياق يبدي عبد الله إبراهيم رأته في قوله "ليست العبرة في التماثل إنما في التمايز الذي يعطي لكل دوره ووظيفته في الحياة"³⁶ لتنتهي أن الأنثى ليس فقط مختلفة عن الرجل بل هي الأصل، فهتون رجعت إلى هويتها الأصلية الحقيقية حين عرفت قيمتها كأنتى وعرفت وظيفتها حين أنجبت، وهي الوظيفة البيولوجية الوحيدة ربما التي لا يملكها الرجل (الولادة)، فقد بدأت الرواية بولادة الشخصية هتون لتنتهي بولادة طفل من طرف الأم هتون ما جعلها تستشعر قيمتها كامرأة "رجعت من تجربة الولادة بقوة أكبر وبنقطة في هذا المخلوق الذي يعجز اللسان عن وصفه، كنت قوية عندما أدركت وظيفتي.

كنت قوية عندما عرفت طريقي.

قوتي بت استمدتها في تلك العلاقة بيني وبين من وهب لي الحق في الحياة بعدما، ولدت امرأة، حينها ألغيت سؤالي لم أنجبني أنثى وقلت في ذات السياق ماذا لو لم تلدني أنثى؟"³⁷ ما ساهم في تشكيل القيمة الأنثوية لهذه المرأة ووضعها في موقعها الأصلي دون حاجة إلى تمثيل هويات خارجة عن تكوينها الذي خلقها الله عليه.

خاتمة:

ساهمت الرواية النسوية الجزائرية في وضع بصمتها على الساحة الروائية العربية بفضل مواضيعها المتنوعة وكسرهما للطابوهات واستعانتها بتقنيات السرد الجديدة، التي أعطت لها مكانة مميزة في السرد العربية ومكنتها من فتح مجال واسع للنقد والقراءة الثقافية.

من خلال ما سبق يمكن ان نخلص إلى النتائج في النقاط الآتية:

- 1- اشتغلت الكتابة النسوية على كثير من القضايا التي اتسمت بالجدّة والمفارقات، التي لم يعرفها القلم النسوي قديما، وذلك للتمييز وإعطاء الشرعية لوجود أدب متفرد يختلف عما يكتبه الرجل.
- 2- تميزت الكتابة النسوية في المتن الروائي الجزائري بأنساقها المختلفة التي عملت فيها على إعادة النظر في الأنساق التي كرسها الثقافية منذ القدم ونسق الفحولة واحد منها.
- 3- ساهمت الجمل الثقافية في تشكيل الإطار العام الذي اشتغلت عليه الرواية وهو استحضار نسق الأنوثة المرفوضة بداية من العنوان لم أنجبني أنثى؟ الذي حقق وظيفته الاغرائية بشكل كبير.

- 4- تنطلق الكاتبة ليندة كامل من نقد الفحولة لكن القراءة الثقافية لهذا العمل الأدبي تكشف أنها تتماهي في هذه المنظومة وتسقط-أحيانا- في فخها إنها قوة النسق وسلطته في التحايل حتى على كاتبه، وقدرته في التغلغل داخل الرؤية المضادة له واستخدامه لتدعيم سلطته.
- 5- تثير رواية لم أنجبني أنثى؟ لصاحبها ليندة كامل أسئلة مهمة منها أسئلة الهوية وأسئلة السلطة، لتشكل صورة تضع الآخر/الرجل في موقع الاهتزاز.
- 6- تمكنت رواية ليندة كامل ونماذج أخرى من الرواية الجزائرية المعاصرة من فتح الباب واسعا على الأطروحات السوسيولوجية وقضايا الجندر وذلك بطريقة تحليلية واعية تُنم عن وعي بالكتابة وأسسها تماشيا مع متغيرات العصر وقضاياها الراهنة.

الهوامش:

- ¹- ليندة كامل: لم أنجبني أنثى؟، إيكوزيوم أفلاي للنشر والتوزيع، ط1، 2022.
- *ليليث: كلمة عبرية تعني العتمة والظلام والسواد، وعرفت عند العرب باسم جنية الليل المجنحة، حيث تقول الأسطورة أن ليليث هي الأفعى التي أغوت حواء بأكل التفاحة.
- ²- هانس بو آخيم ماس: عقدة ليليث، تر: سامر جميل رضوان، منشورات النور، دط، طرابلس لبنان، 1991، ص07.
- ³- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، دت، ج1، ص68.
- ⁴- إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقى، ط1، بيروت لبنان، 2003، ص328.
- ⁵- الرواية، ص02.
- ⁶- الرواية، ص09.
- ⁷- الرواية، ص06.
- ⁸- جاك أندريه: النزوع الجنسي الأنثوي، تر: إسكندر معصب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009، ص19.
- ⁹- عبد الله إبراهيم: السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الانثوية، والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، ص20.
- ¹⁰- محمد رضا الأوسي: الخطاب الروائي النسوية العراقي، دراسة في التمثيل السردى، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص33.
- ¹¹- الرواية، ص10.
- ¹²- الرواية، ص16.
- ¹³- الرواية، ص07.

- 14- مجموعة مؤلفين: الجسد من المتعة إلى الاحتجاج وثورات الربيع العربي، تقديم: عياد أبلال، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 2020، ص128.
- 15- الرواية، ص18.
- 16- الرواية، ص23.
- 17- الرواية، ص46.
- 18- الرواية، ص16.
- 19- الرواية، ص17.
- 20- الرواية، ص31.30.29.
- 21- محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، في المرأة: الكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، دط، 1988، ص35.
- 22- عبد النور إدريس: دلالات الجسد الأنثوي في السرد النسوي العربي، منشورات دفاتر الاختلاف، مكناس، المغرب، ط1، 2005، ص06.
- 23- الرواية، ص32،31.
- *- انطلق جورج طرايشي استنادا إلى ما توصل إليها فرويد في معرض حديثه عن عقدة الخشاء إلى ما أطلقه عليه وهم الخشاء أو الخشاء المستوهم، ورأى بأن عقدة الخشاء تكون عند الذكر، أما عقدة وهم الخشاء فهي وهم لدى الأنثى، ويفرق بين العقدين بقوله ان عقدة الخشاء نتيجة لسادية الآخرين، أما العقدة الثانية فهي نتاج المازوشية الذاتية.
- 24- ينظر، مسعودة مرزوقي، الرواية النسائية في رؤية جورج طرايشي السيكلوجية نوال السعداوي أنموذجا، مجلة أبوليوس العدد السابع جوان 2017، ص213.
- 25- الرواية، ص83.
- 26- الرواية، ص55.
- 27- الرواية، ص54.
- 28- الرواية، ص118.
- 29- إيهاب الملاح، الرجل في سرديات المرأة العربية استكشافات نصية، مجلة الجديد: قلم المرأة وصورة الرجل في اكتشاف السرد النسائي العربي، العدد 76، مايو أيار 2021، من ص78.
- 30- الرواية، ص100.
- 31- الرواية، ص122.
- 32- الرواية، ص127.
- 33- الأخضر بن السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2012، ص24.
- 34- الرواية، ص99.
- 35- الرواية، ص141.
- 36- عبد الله إبراهيم، السرد النسوي، مرجع سابق، ص79.78.
- 37- الرواية، ص145.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكاليّة الجنس عند العرب، دار الساقى، بيروت لبنان. ط1، 2003 .
- 2- محمد رضا الأوسي: الخطاب الروائي النسوية العراقي، دراسة في التمثيل السردى، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2012.
- 3- الأخضر بن السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2012.
- 4- إيهاب الملاح، الرجل في سرديات المرأة العربية استكشافات نصية، مجلة الجديد: قلم المرأة وصورة الرجل في اكتشاف السرد النسائي العربي، العدد 76، مايو أيار 2021.
- 5- جاك أندريه: النزوع الجنسي الأنثوي، تر: إسكندر معصب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 6- عبد الله إبراهيم: السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الانثوية، والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ط1، 2011.
- 7- عبد النور إدريس: دلالات الجسد الأنثوي في السرد النسوي العربي، منشورات دفاتر الاختلاف، مكناس، المغرب، ط1، 2005.
- 8- ليندة كامل: لم أنجبني أنثى؟، إيكوزيوم أفولاي للنشر والتوزيع، ط1، 2022.
- 9- مجموعة مؤلفين: الجسد من المتعة إلى الاحتجاج وثورات الربيع العربي، تقديم: عياد أبلال، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 2020.
- 10- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، دت، ج1.
- 11- محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، في المرأة: الكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، دط، 1988.
- 12- مسعودة مرزوقي، الرواية النسائية في رؤية جورج طرايشي السيكلولوجية نوال السعداوي أمودجا، مجلة أبوليوس العدد السابع جوان 2017.
- 13- هانس بو آخيم ماس: عقدة ليليث، تر: سامر جميل رضوان، منشورات النور، طرابلس لبنان، دط، 1991.